العرب
السبت 2020/10/10
السنة 43 العدد 11846

النظم غير الديمقراطية تواجه ثغرة إعلامية بتخليها عن الصحافة

«جيوش إلكترونية» غير منضبطة تأتي بنتائج عكسية للحكومات

الصحافة حاجة أساسية للنظم غير الديمقراطية كما هي لمثيلاتها الديمقراطية على اختلاف المهمة والدور اللذين تقوم بهما، بخدمة الأنظمة أو بمناهضتها، وحشد الرأي العام أو تأليبه، لذلك فإن تخلي النظم عن الصحافة التي تدافع عنها وتنقل رسائلها وتخدم مصالحها يشكل فراغا في منظومتها الإعلامية لا تسده وسائل الإعلام الحكومية الناطقة باسم الحكومات.

رويدة رفاعي

التعددية ضرورة لجميع الأنظمة

عمان – تلتصق صفة "تابعة للنظام" بوسائل الإعلام الحكومية في الأنظمة غير الديمقراطية، باعتبارها لن تحيد عن التأييد المطلق لهذه النظم ولن يجد النقد سبيلا إليها، وباستثناء الأخبار المحلية اليومية والقرارات الرسمية، لا تستطيع المنابر الحكومية أن تكون أداة ذات تأثير كبير على الجمهور خصوصا في القضايا الحساسة والأزمات، لذلك تحتاج هذه الأنظمة لمنابر أخرى تنقل رسائلها وتخاطب المتلقين بلغة أقرب إليهم منها إلى الأنظمة.

وشاعت لدى السياسيين في الدول الديمقراطية التي تحظى فيها الصحافة والإعلام بمنسوب كبير من الحريات مقولة "صحف من دون حكومة أفضل من حكومة من دون صحف"، وبغض النظر عن صحة المقولة أو إمكانية حدوثها حتى في أعتى الديمقراطيات، إلا أنها تشير إلى الدور الخطير الذي تقوم به الصحافة في الحياة السياسية بخدمة الأنظمة أو بمناهضتها، وقدرتها على حشد الرأي العام أو تأليبه، ودروس التاريخ شاهدة على الدور الذي قامت به صحف كبرى في تغيير مسار السياسيين.

واعتمدت النظم غير الديمقراطية لسنوات طويلة على منابر إعلامية عديدة لنقل رسائلها في الداخل والخارج، لاسيما تلك التي تتضمن معلومات لا تريد الحكومات الإفصاح عنها بشكل رسمي بل عبر قنوات جانبية غير ناطقة باسمها، ونجحت هذه المنابر بالمهمة بسبب هامش الحرية الأوسع لديها مما هو متاح في الإعلام المحلي بالإضافة إلى احترافيتها وتعدد وسائطها بين المقروء والمرئي والمسموع والمواقع الإلكترونية.

وقال الدكتور كريم الفراجي أستاذ مادة الإعلان الصحافي في جامعة عمّان الأهلية، إن "الأنظمة السياسية غير الديمقراطية في منطقتنا العربية لطالما اتكأت على الصحافة مقروءة كانت أو مسموعة أو مرئية لفرض وجودها وبقائها واستمرارها ومحاولة تكريس هيبتها المفقودة وصناعة الرأي العام المنقاد، فحاكت الصحافة لهذه الأنظمة أسرار ذلك الوجود، وأضفت عليها طابعا من الشرعية المزيفة، خلافا لمعايير المهنية ومدونات الشرف. والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة في واقعنا العربي".

وأضاف الفراجي في تصريحات لـ"العرب" "اعتدنا أن نرى مؤسسات إعلامية مرتهنة للحكومات، والغريب في الأمر أن هذه المؤسسات الإعلامية ليست حكومية فحسب، بل خاصة كذلك فالمال السياسي أخذ يتدفق بقوة ما أسال لعاب تلك المؤسسات وأصبحت أدوات طيعة بيد السياسيين، والأغرب من ذلك هو مقدرة تلك الوسائل في الوصول والتأثير فلديها الإمكانات والموارد التي منحتها فرصة مواكبة تكنولوجيا الإعلام واستقطاب الكوادر بعناية، ما جعلنا نشهد تغيرا جذريا في منظومة المعايير المهنية لدى المؤسسات الإعلامية والعاملين بوسائل الإعلام في منطقتنا العربية".

ووفقا لفراجي، لا تتعلق المشكلة فقط بالقائمين على الوسيلة الإعلامية، بل بالكادر الصحافي الذي يسوق مبررات التنقل من وسيلة إلى أخرى دون الاحتكام إلى أي معايير حتى لو كانت الوسيلة الجديدة على شقاق مع مؤسسته الأم، فضلا عن ظهور القوى السياسية واستحواذها على صناعة القرار السياسي وسيطرتها على رأس المال وهذا ما بات واضحا في مؤسساتنا الإعلامية في الآونة الأخيرة.

وتابع أن "هذه الأنظمة قد نجحت فعلا وبأساليب غير أخلاقية في إعادة صياغة المعادلة، فالصحافة الحرة التي لطالما كانت أحد أهم أركان ومبادئ الأنظمة الديمقراطية أصبحت اليوم أداة لبسط النفوذ بعد ما أسفرت عنه التحولات السياسية من تداعيات في المشهد الثقافي العربي من تردّ واستهانة بالرأي العام، وإزاء ذلك بدأنا نشهد صحافة (حرة) في ظل نظام دكتاتوري، مما يستدعي إعادة صياغة الكثير من المفاهيم وإعادة رسم الخارطة الإعلامية من جديد".

وخلص إلى أن "كل ذلك أخرج الصحافة عن وظيفتها ولم تعد هنالك صحافة حرة نزيهة وحلت محلها صحافة سلطوية جائرة، مارست التضليل وتزييف الحقائق".

في المقابل يعتبر آخرون أن الصورة ليست قاتمة كليا، فالمنابر "السلطوية الجائرة" تقابلها منابر متعددة أخرى تنقل الصورة المغايرة وترد على الشائعات والأخبار الكاذبة، فالحالة الصحية للصحافة عموما هي التعدد والتنوع، وعلى القارئ أن يختار ما يناسبه فهو يمتلك من الذكاء ما يجعله قادرا على انتقاء ما يريد من سيل المعلومات والأخبار وتقييم وسائل الإعلام ومعرفة تبعيتها ومصدر تمويلها.

ومع الأزمة الاقتصادية التي لحقت بالدول جراء تداعيات فايروس كورونا وانهيار أسعار النفط، تخلت الحكومات عن العديد من وسائل الإعلام ما خلق لها ثغرة اتصالية واضحة إذ اضطرت للاعتماد على وسائل إعلام محلية متواضعة مهنيا.

ويرى خبراء إعلام أن نظرة الأنظمة غير الديمقراطية للصحافة تبدو قاصرة وتطغى عليها المناسباتية، ولا تدرك أن مهام وسائل الإعلام أبعد من عملية الانتخابات ومناسباتها والدعاية لها، فوظيفة الإعلام إلى جانب نقل الأخبار والمعلومات بطريقة احترافية ومهنية والإضاءة على كافة جوانب القضايا التي تهم الدول والمواطنين، تشكيل الرأي العام وتوعية المجتمع.

وقال الدكتور رحيم مزيد الكعبي أستاذ مادة الصحافة في جامعة الكتاب بكركوك "المشكلة في علاقة الصحافة بما يمكن أن نسميه الديمقراطيات الزائفة ليست في إدمان توظيف هذه الأنظمة للصحافة لتمرير مشاريعها السياسية أو الأيديولوجية، ولا حتى في استمراء الصحافة أن تكون أداة طيعة للسلطات، على اختلاف الحقب والتجارب، لكن المشكلة المستديمة هي في القدرة الفائقة للسلطات على إنتاج وتصنيع أسماء ومجموعات ومؤسسات ونقابات واتحادات، تمارس مهنة الصحافة على اختلاف أنماطها وأشكالها، بدفع وتوجيه وتحريض حكومي صارخ!".

ونوه الكعبي في تصريحات لـ"العرب"، "لم تعد هناك حكومات تقول إنها ليست ديمقراطية، حتى أنظمة الحكم الوراثي تحاول بأي شكل إضفاء صفات أو ممارسات تحاكي بها ما يُعمل به في الدول الديمقراطية".

وأوضح "المشكلة أن هذه المهنة التي لا تنقصها الأدبيات الأخلاقية ومواثيق الشرف المهنية، ومع ذلك لا تزال سهلة المنال على السياسيين في الديمقراطيات الزائفة، الذين لا يتوانون عن خلق واصطناع أسماء صحافية بعينها؛ يقدمونها لاحقا للجمهور على أنها تمثل الصحافة، في الوقت الذي تمثل فيه صراحة وضمنا، جهارا نهارا، السلطة بكل عيوبها وإخفاقاتها وممارساتها"!

واعتبر أن "هذا مقتل الصحافة في نظم الديمقراطيات الزائفة قبل غيره من عوامل التوظيف الأخرى للصحافة قديمها وحديثها، الورقي منها والرقمي، إلى الدرجة التي تمكنت فيها جهات وشخصيات سياسية في بلد مثل العراق، من أن تذهب أبعد من الهيمنة المباشرة على وسائل الإعلام، من خلال مجاراة البعد التقني الحديث للصحافة، ممثلا بشبكات التواصل الاجتماعي، وجعلها تعج بما يطلق عليه الجيوش الإلكترونية التي تدافع عن السياسيين الفاشلين والفاسدين وتبرر إخفاقات الحكومات".

ولم تكن حتى منصات التواصل الاجتماعي بمنأى عن عمليات الإنتاج وإعادة التصنيع الكبرى لأسماء وهيئات ومجاميع صحافية تعمل ليل نهار على تزييف الحقائق وتقديم مقاربات مشوهة وغير حقيقية لما يشهده الواقع.

وتغامر الأنظمة في كثير من الأحيان بالاعتماد على "جيوش إلكترونية" فوضوية وغير منضبطة ولا معايير لديها، فتخرج عن السيطرة وتقوم بدور معاكس لما هو مطلوب منها وكثيرا ما تسببت بأزمات وأحرجت دولا وسياسيين لأن أساليبها مكشوفة ولم تعد خافية على أحد وتظهر تبعيتها بأبسط التقنيات.

رحيم مزيد الكعبي

مهنة الصحافة لا تنقصها الأدبيات الأخلاقية ومواثيق الشرف ومع ذلك لا تزال سهلة المنال على السياسيين

ويعتبر خبراء إعلام أن الصحافة ووسائل الإعلام رغم تبعيتها لهذه الدولة أو تلك إلا أنها تعتبر أكثر مسؤولية وانضباطا وتحظى بموثوقية أكبر من المنصات الاجتماعية، رغم كل الانتقادات التي تتعرض لها.

ويضيف الخبراء أن التنوع والتعددية لا غنى عنهما في وسائل الإعلام مع الاستقطاب السياسي الحاد، ووجود أصوات متعددة ضروري لتوضيح ما يجري على الساحة العربية والدولية للجمهور، وتوضيح سياسات الحكومات وخدمة مصالح الدولة، وعدم ترك المجال مفتوحا للمنابر الأخرى لبث الفوضى والتحريض دون رد.

كريم الفراجي

الصحافة حاكت لأنظمة غير ديمقراطية أسرار الوجود، وأضفت عليها طابعا من الشرعية المزيفة

نوبل لجون لينون: المفاجأة في تعليق قراء الصحيفة

كرم نعمة
كاتب عراقي مقيم في لندن

لقد صنعت الصحافية البريطانية ميلاني فيليبس قصتها من تعليقات القراء على ما كتبته هذا الأسبوع في صحيفة التايمز.

ببساطة متناهية، لا ينتهي مقال فيليبس الحاصلة على جائزة أورويل للصحافة، بالفكرة المقترحة والمتسائلة عما إذا كان يمكن منح جائزة نوبل للمغني جون لينون، في استذكار حزين للمغني القتيل وهو يبلغ الثمانين من العمر، دون أن يكمل نصفه في الحياة. بل في مشاركة قراء الصحيفة البريطانية التي تقدم محتواها باشتراك أسبوعي أو شهري!

لقد تفاعل القراء مع مقال ميلاني فيليبس، لأن الصحيفة ما زالت المساحة الصحيحة للنقاش المفيد، بعيدا عن التعليقات السامة التي تترهل بها مواقع التواصل الاجتماعي! إلى حد أن أحد قراء التايمز كتب "على الرغم من أنني لا أتفق دائما مع وجهة نظر ميلاني فيليبس، إلا أنني أستمتع دائما بقراءة عمودها. إنها تتحداني للتشكيك في معتقداتي. وتلك بالنسبة لي سمة الصحافي الجيد".

ماذا يعني هذا التفاعل مع مقال في صحيفة لا تقدم محتواها إلا باشتراك مدفوع، غير أن الفكرة السائدة والمتصاعدة عن موت الصحافة الورقية وأن الصحف لم تعد تستقطب القراء، ليست صحيحة بشكل نهائي.

صحيح أننا يمكن أن نجد الآلاف يتجادلون على فكرة ما بغض النظر عن قيمتها على منصات التواصل، لكن هذا النقاش السام لا يعدو أن يحمل فائدة مئة تعليق يكتبها القراء على مقال في صحيفة ورقية بوصفها الطريق الأمثل للنقاش المفيد.

تتساءل فيليبس "هل كان لينون يستحق جائزة نوبل؟" وتقول لو كان على قيد الحياة، لكان أحد أصوات فريق البيتلز في الثمانين من عمره هذا الأسبوع، لكن رؤيته الطوباوية للفن والحياة كانت ستفسد وسط هذا الانهيار القيمي المريع الذي يشهده العالم في عصر مواقع التواصل الاجتماعي.

كان خبرا مهولا عندما أعلن في الثامن من ديسمبر عام 1980 عن مقتل مغني وملحن وكاتب الأغاني في فرقة البيتلز، جون لينون بالرصاص.

مثّل لينون حقبة، إن لم يكن أهم رموز الستينات والسبعينات عن السلام والعالم الواحد الذي يقطع مع التقسيمات والشروط المخيفة التي وضعها السياسيون ورجال الدين على حد سواء.

ربما استذكار صاحب أغنية "تخيّل" بعد أربعين عاما من مقتله، يضفي طابعا رومانسيا على الماضي، لكن رؤيته للحياة وأفكاره الطوباوية تعد مثالا، يبدو العالم بحاجة ماسة لها اليوم وسط الفرقة والخلاف الذي تثيره وسائل الإعلام في العصر الرقمي.

وبعد ثمانين عاما من ولادة جون لينون، ستكون منصة السلام التي وقف عليها وغنى من أجلها قد نمت بالنسبة للبعض القليل من الناس وسط الاحتقان الذي بات سببا للتفرقة داخل المجتمع الواحد.

ومع إعلان جوائز نوبل هذا الأسبوع، يرى صديقه المغني إلتون جون "لو استمرت فرقة البيتلز، لكانت الفرقة أو لينون نفسه قد فازا بجائزة نوبل للسلام".

ويدافع جون عن فكرته بأنه سمع هذا الكلام من أقرب الناس إلى لينون بالقول إنه بذل كل ما يقدر عليه من جهد من أجل إيصال أفكاره الإنسانية إلى الناس، ولم تردعه الضغوط التي مورست عليه، لقد كان محبا للسلام، رائعا، كنزا معبّرا نحن بأمس الحاجة لأشخاص مثله اليوم.

تلك السمات الجذابة في جون لينون تجسدها أغنيته الباهرة "تخيّل" التي لا يمكن أن تفقد تعبيريتها بعد عشرات العقود، لأنها تجعل من الإنسان قيمة عليا بغض النظر عن دينه ووطنه ولونه، إنها نشيد عظيم عن المدينة الفاضلة "تخيّل لو لم تكن هناك جنة/ ولا جحيم تحتنا/ تخيّل لو أن كل الناس عاشوا ليومهم/ تخيّل لو لم تكن هناك بلدان/ لا شيء يستحق القتل أو الموت لأجله/ ولا حتى عقيدة/ تخيّل لو أن كل الناس/ عاشوا حياتهم في سلام/ ويصبح العالم واحدا/ فلن تصبح هناك حاجة للطمع أو الجوع/ والناس إخوة/ تخيّل كل الناس/ يتشاركون كل العالم". أصبحت تلك الأغنية وما زالت النشيد غير الرسمي للعالمية والتكافؤ الأخلاقي. فقبل سنوات اقترحت إدارة مدرسة في جزيرة كورسيكا الفرنسية معالجة منسوب العنصرية المرتفع في الجزيرة إلى اقتراح أن يتعلم التلاميذ أداء الأغنية باللغات الفرنسية والإسبانية والعربية والكورسيكية في نص مستوحى من تعبيراتها الإنجليزية.

ربما سيجد جون لينون إن بقي حيا في الثمانين من عمره المدينة المثالية التي صنعها في أغنية «تخيّل» دمرها فيسبوك بدولة مارقة يصل سكانها إلى أكثر من مليارى مستخدم

كان لينون مبدع تخيلات السلام. ففي عام 1969 حث وزوجته يوكو أونو الناس على التجمع من أجل السلام في أمستردام ومن ثم في مونتريال، حيث كتب وسجل أغنيته "أعط السلام فرصة".

تقول "الحكاية" التي يجب أن نصدقها على أهميتها إن صحت أو صنعتها أسطورة التداول عن ألفريد نوبل، إنه بعد الإبلاغ عن وفاته عن طريق الخطأ في عام 1888، شعر بالرعب عندما رأى نفسه يوصف في نعي إحدى الصحف بأنه "تاجر الموت". لذلك أنشأ جائزته التي تحمل اسمه لمكافأة الأشخاص الذين "منحوا البشرية أكبر فائدة ممكنة".

أراد أن تُمنح جائزة السلام لشخص قدم "أعظم خدمة لقضية الأخوة الدولية"، مع ذلك فقد تحولت الجائزة إلى منصة خلاف وجدل عندما منحت لأفراد لم يُتفق عليهم غالبا. فجائزة نوبل للسلام لم يتم تسييسها فقط، بل أصبحت أقل ارتباطا بالإنجازات من أجل السلام.

لو كان لينون حيا اليوم ماذا سيرى في عالم تسيره امبراطوريات التكنولوجيا العملاقة وتحرك مشاعر الأفراد في خوارزميات تجارية تهدف إلى الربح؟ سيصاب بالذهول من "إلغاء" فكرة الاختلاف وانقراض التفكير العقلاني بين الناس، حيث أصبح الأفراد يُعرّفون أنفسهم بمنصاتهم الاجتماعية بما يكرهون "أنا أكره إذا أنا موجود" وساعد الإعلام الرقمي على تفاقم البغضاء والتمييز في سياسات الهوية وتقديس الأنانية.

ربما سيجد لينون إن بقي حيا في الثمانين من عمره المدينة المثالية التي صنعها في أغنية "تخيّل" دمرها فيسبوك بدولة مارقة يصل سكانها إلى أكثر من مليارى مستخدم.